

رؤية علماء غربيين منصفين للإسلام ونبيه

د. مصطفى حلمي

رؤية علماء غربيين منصفين

للإسلام ونبيه ﷺ

بحث مقدم للمؤتمر الدولي [نبي الرحمة ﷺ]

برعاية الجمعية العلمية السعودية للسنة

٢٣-٢٥ شوال سنة ١٤٣١ هـ، ٢-٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠ م

جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

إعداد

أ. د. مصطفى محمد حلمي

دار الشباب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٥٨١/ ٢٠١٢م

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧-٠١٠٠٥٠١٣١٥١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد ظهر الوجه القبيح لحضارة الغرب، وزالت عنه مساحيق التكنولوجيا والتقدم العلمي المبهر، واتضح زيف شعارات السماحة وحقوق الإنسان، وطفا على السطح ما تكنه هذه الحضارة في أحشائها من عنصرية حاقدة ورثتها من أجدادها اليونان والرومان، فانفجر في شكل الحملات اللامعقولة المعادية للإسلام، وعلى رأسها اتهامه بالإرهاب! وهو الدين الوحيد دون غيره من الملل والنحل

الموضوع في قفص الاتهام، والموصوف بأحط الصفات المستمدة من عملية تزييف للحقائق التاريخية من خيال مبشرين ومستشرقين[1] وأدباء وساسة وغيرهم، وضعوا

(١) إن القول بأن الاستشراق قد وُلد -ابتداء- في أحضان الكنيسة والأديار النصرانية الرومانية يبقى صحيحًا على إطلاقه، وكل التفسيرات المطروحة تؤكد هذه الحقيقة وتوثقها وتعمقها «د. محمد عبد الله الشرقاوي «الاستشراق» (ص ٣٢).

وقد بدأ اهتمام المستشرقين بالكتابة عن حياة محمد ﷺ اعتبارًا من القرن السابع عشر بعد أن كانت الكتابات السابقة في هذا المجال كتابات جدلية كنسية تعبر عن اتجاه الكنيسة المعادي بطبيعة الحال للإسلام ولكن هدف المستشرقين الواضح والمعلن حينذاك لم يكن أيضًا هدفًا علميًّا، بل كان محاربة الإسلام والدفاع عن النصرانية. ومن أجل هذا الغرض وجد المستشرقون أن أفضل وسيلة لمحاربة محمد ﷺ تتمثل في معرفته ومن هنا كان لابد من الاطلاع على القرآن ومحاولة فهمه. وقد اشتملت المؤلفات في ذلك الوقت على أكثر الأساطير مدعاة للسخرية وأكثر المزاعم والشتائم وقاحة. (د. محمد حمدي زقزوق «الإسلام في تصورات الغرب» (ص ١٣٠).

على أعينهم غشاوة فأعمت أبصارهم بعد أن عميت قلوبهم المفعمة بالأضغان على الإسلام ورسوله ﷺ، منتهزين حقيقة سمو أخلاق المسلمين وصبرهم وحسن ذوقهم التي لا تسمح لهم بأن يقابلوها بنفس الابتذال.

ولعل ما يخفف من آلامنا لمواجهة هذه الحملات، أن تكذيب الأنبياء والافتراء عليهم وسبهم ظاهرة قديمة صاحبت الأنبياء جميعًا، فقد أخبرنا الله - تعالى - أن الكفار قالوا عن موسى عليه السلام: إنه ساحر وإنه مجنون، فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

وذكر تعالى عن اليهود أنهم قالوا عن مريم: ﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾، فقول اليهود في المسيح من جنس أقوال الكفار في الأنبياء، وكذلك قول كفار أهل الكتاب في خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن

قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقد تعرض ﷺ منذ مبعثه وإلى عصرنا الحالي لأقبح الشتائم ففي كتاب «دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره» قال الدكتور عبد الرحمن بدوي: (نادرًا ما يصدق الناس الحقائق لاسيما إذا تعارضت مع مصالحهم)، وقال: (وهذا يفسر ذلك المعدل الرهيب من الأكاذيب التي ساقها الكتاب البيزنطيون والأوروبيون منذ اثني عشر قرنًا في موضوع النبي محمد ﷺ الذي أصبح أكبر أعداء الأوروبيين كما كان الهجوم عليه هدفًا للإمبراطورية البيزنطية وأوربا سواء على الصعيد الأيدولوجي أو الصعيد الدعائي من جانب المؤرخين الأوروبيين المدعومين بعلماء النصرانية في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين أمثال «يوحنا الدمشقي وتيودور أبو قره وإلياس، وعبد المسيح الكندي وغيرهم» وقد تبعهم في

المنهج نفسه قساوسة أوروبيون بدءًا من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى يومنا هذا)[١].

ومن أشد الافتراءات مدعاة للعجب والسخرية قديمًا وحديثًا ما نقله لنا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (فإنه من المعلوم أن كثيرًا من أهل الكتاب، كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه والحرص على إبطال أمره ﷺ ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد ونسبوا إليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن يفسروا قول المسلمين: (الله أكبر) بأنه أكبر صنم، وأن النبي ﷺ أمر بتعظيم هذا الصنم)[٢].

وترددت هذه الأكذوبة الفجة أيضًا في العصر الحديث، دالة على الغيظ الشديد والجهل المطبق، فقد زعم رئيس

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي «دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره» (ص ٣) ترجمة كمال جاد الله ط.

(٢) ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٢٩٦).

أساقفة تورين (أنه يوجد في الأندلس على شاطئ البحر فوق عمود شديد الارتفاع، صنم من البرونز صنعه محمد ﷺ ويعبده المسلمون!)[١].

وها نحن مطالبون جميعًا بالذب عن رسول الله ﷺ بكل ما توافر لدينا من وسائل، ودفع الاتهامات الباطلة الموجهة إليه التي زادت عن حد الاحتمال، مع الإصرار على استمرارها وانتقالها من بلد إلى آخر في تناسق وترتيب بين وسائل الإعلام الغربية التي يقف وراءها دهاة المستشرقين والمبشرين. واتضح أن وراءها أغراضًا تتجاوز حد الإساءة لشخصه ﷺ أو الإسلام الذي يصفونه بالإرهاب، فهي في حقيقتها حرب نفسية موجهة للأمة الإسلامية لنزعها من درعها الذي تقاوم به الحرب الصليبية، ثم الإلقاء بنفسها في أحضان النصرانية، كما يتوهم المبشرون.

---

(١) لواء أحمد عبد الوهاب «الإسلام في الفكر الغربي» (ص ٩).

وقد صور الدكتور محمد حسين هيكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدى ما هوى إليه القوم إلى الحضيض، فبعد أن عرض ما ورد في موسوعة «لاروس» الفرنسية، علق عليها قائلًا: (أرأيت الحضيض الذي هوت إليه هذه الطائفة من كتاب الغرب؟ أرأيت إصرارهم، مع توالي القرون، على الضلال وعلى إثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الإنسانية؟! ومن هؤلاء من جاءوا في العصور التي يسمونها عصور العلم والبحث والتفكير الحر وتقرير الإخاء بين الإنسان والإنسان. قد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المنصفين إلى حد ما. فمنهم من يقر بصدق إيمان محمد ﷺ بالرسالة التي عهد الله إليه تبليغها عن طريق الوحي، ومنهم من يُشيد بعظمة محمد ﷺ الروحية وبسمو خلقه ورفعة نفسه وجم فضائله، ومن يصور ذلك في أقوى أسلوب وأتمه روعة.

وإن بقي الغرب مع ذلك ينال من الإسلام ونبيه ﷺ

أشد النيل، ثم تبلغ منه الجرأة حتى يثب المبشرون في أنحاء البلاد الإسلامية يذيعون مثالبهم الوضيعة، ويحاولون صرف المسلمين عن دينهم إلى النصرانية)[١].

أما الآن، فنحن نعاني من الحملات الشرسة ضد الإسلام عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م.

منهج البحث:

التزمت بمنهج تحليل المضمون للكتّاب الذين خصصوا مؤلفات في سيرة الرسول ﷺ لإبراز آرائهم للرد على الأفكار الشائعة في بلادهم عن الرسول ﷺ وبيان تهافتها باتباع الموضوعية في الدراسة مع التخلص من الأفكار السابقة المتوارثة الممتلئة بالأحقاد منذ القرون الوسطى وتحميل الصورة المشوهة للإسلام.

---

(١) د. محمد حسين هيكل «حياة محمد ﷺ» (ص ٣١)، وفي الأصل «المسيحية» وهو انتساب غير صحيح.

أولًا: الكاتبة الإيطالية: د. لورا فاجليري.

ثانيًا: الأديب الإنجليزي: توماس كارلايل.

ثالثًا: عالمة الأديان: كارين أرمسترونج.

رابعًا: الفيلسوف الفرنسي والأديب: فولتير.

وفيما عداهم اتبعت المنهج التركيبي لعرض آراء المنصفين في مسائل بعينها أثير حولها اللغط كاعترافهم بالخُلق العظيم للرسول ﷺ ردًّا على المفترين، ونفي الرواية المخترعة عن نشر الإسلام بالسيف.

وأخذت على عاتقي مهمة ليست باليسيرة، تمثلت في التنقيب بين ركام مؤلفات الحاقدين على الإسلام من الغربيين لكي أعثر على آراء المنصفين منهم بسبب قلتهم. ولذلك أكثرت من الاقتباسات والاستشهادات من مؤلفاتهم لكي أعوض قلتهم، ولكي تنتشر آراؤهم بين الباحثين المسلمين وتتغلب ببراهينها الساطعة على كتابات الأعداء.

الجذور التاريخية للعداء للإسلام ولنبيه ﷺ:

نبدأ بمحاولة تفسير الأحقاد والضغائن الراسبة في قلوب الغربيين بقيادة المستشرقين والمبشرين لعلنا نعثر على طريقة لعلاج أمراض قلوبهم.

فنحن - بحمد الله دعاة للحق - ونتقرب إلى الله ﷻ بمحاولة تخليصهم مما هم فيه، ونحرص على هدايتهم، طمعًا فيما عند الله تعالى من الأجر الجزيل.

ويمكن تفسير ما استقر في نفوسهم المريضة بأسباب منها:

الأول: النظرة الاستعلائية العنصرية الغربية، فالغرب كان (منذ الإغريق والرومان وحتى اليوم، يري نفسه معدن الحضارة ومركز العالم، والجدير بالسيطرة والتفوق، والشعوب الأخرى همجًا وبرابرة أو حتى أرقاء. وقد تمكنت نظرة الاستعلاء في الإنسان الغربي حتى أصبحت

بمثابة الغريزة المركوزة أو الجبلة الثابتة)[١].

لذلك كان لفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح وقع الصاعقة على أوروبا، لأنها كانت ترى بقية من الزهو اليوناني والروماني القديم على تلك المدينة (وكانت تنظر إليها على أنها حصن أوروبا ضد برابرة آسيا، وبسقوطها فُتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامي، وفي القرون التي امتلأت بالحروب لم تعد عداوة أوروبا للإسلام قضية ذات أهمية ثقافية فحسب، بل ذات أهمية سياسية أيضًا)[٢].

الثاني: اجترار الخيبة بسبب فشل المشروع الصليبي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وعلى العكس جاء الأتراك العثمانيون إلى عتبة دار أوروبا.

---

(١) د. محمد عبد الله الشرقاوي «الاستشراق» (ص ١٧٨).

(٢) محمد أسد «الإسلام على مفترق الطرق» (ص ٥٩) ترجمة د. عمر فروخ.

تقول كارين أرمسترونج: (وبسبب الخوف كان من المحال على نصارى الغرب التزام العقلانية أو الموضوعية إزاء العقيدة الإسلامية)[١].

(فظل الإسلام يمثل تحديًا لا يتوقف للغرب حتى القرن الثامن عشر، أما الآن فيبدو أن حربًا باردة ضد الإسلام توشك أن تحل محل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي)[٢].

وبسبب اطلاعها الواسع على الإسلام من مصادره، ومعرفتها بتاريخه وحضارته كعالمة أديان تفرغت لدراستها، أخذت توجه النصح إلى بني جنسها فقالت: (فنحن في الغرب لم نستطع أبدًا التعامل مع الإسلام، فأفكارنا عنه كانت وما زالت فجة ورافضة وتناقض التزامنا

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص ١٨، ٣٦) ترجمة د. فاطمة نصر، ود. محمد عناني.

(٢) المرجع السابق.

المعلن بالتسامح والتراحم) وتحذّر من استمرار الغرب في هجومه المتواصل على الإسلام إذ إن الحقيقة البارزة أنه ظل صامدًا؟ (إن الإسلام لن يختفي ولن يخبو) ثم وضعت يدها على العصب الحساس في حضارتها فاعترفت بأن: («الضعف الأساسي» للحضارة الغربية – وللنصرانية أيضًا – في العالم الحديث هو عدم القدرة على الاعتراف بأنهم يقتسمون الكوكب، ليس مع من هم أدنى منهم، بل مع أنداد لهم)[1].

وشمل نقدها الذاتي للكنيسة أيضًا، فاقترحت عليها أن تتمرس فقهيًّا في التعامل مع البشر على أساس من الاحترام الجوهري.

ورأت أنهم في الغرب بحاجة إلى تخليص أنفسهم

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص ٣٩٣) في الأصل أطلقت عليها اسم الحضارة المسيحية.

من بعض أحقادهم القديمة، ثم قالت: «ولعل شخص محمد ﷺ يكون مناسبًا للبدء» ونفت قيامه ﷺ بنشر الإسلام بالسيف – برغم الأسطورة الغربية، لأن اسم الإسلام نفسه ذو دلالة على السلام والوفاق[١].

الثالث: صدمة الفتوحات الإسلامية في عصورها الأولى

كانت قد أصابت أوروبا بالفزع، إذ خرج من الصحراء شعب كان بعيدًا عن ميزان القوة، فإذا به بعد إسلامه يكاد يمحو قوة كل من عداه من الشعوب.

عندئذ أصيبت الأمة الأوروبية بالذعر بسبب انتصارات الجيوش الإسلامية المتوالية فلما عجز ملوكهم وقوادهم من مقاومته في ميادين الوغى، (انبرى كتابهم وشعراؤهم لهجاء النبي ﷺ والنيل منه، فقالوا ما قالوا، وسبوا وطعنوا وقذفوا وشتموا ما شاء لهم الغيظ والحقد والحسرة على

(١) نفسه.

ممالكهم الضائعة)[١].

وبقي الغرب يتلقف السب والقذف والشتائم جيلًا بعد جيل بلا رادع من ضمير أو قانون (فإن رسول الإسلام ﷺ لا يتمتع حتى الآن في الغرب بأي حماية قانونية، فالإساءة إليه وتشويه صورته لا يقعان تحت طائلة القانون، بل إنهما من الأمور المقبولة سياسيًّا)[٢].

وقد تجدد هذا الفزع التاريخي المتوارث منذ الحروب الصليبية بالصحوة الإسلامية التي شهدتها العقود القليلة الماضية، فأضافت فزعًا جديدًا للغرب من الإسلام، إذ جاءت هذه الصحوة معارضة تمامًا مع تكهنات المحللين المتخصصين في دراسة الشرق، إذ كانوا يعتقدون حتى خمسينات القرن الماضي موت وفناء الإسلام[٣].

---

(١) محمد لطفي جمعة «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» (ص٣٣).

(٢) مراد هوفمان «الطريق إلى مكة» (ص١٤٩).

(٣) نفسه (ص ١٤٧).

هذا التعليل يفسر انطلاق حملة الإساءة إلى الرسول ﷺ في القارة الأوروبية وازدياد حملات الهجوم عليه ﷺ في الآونة الأخيرة، وانتقالها من بلد إلى آخر بعناد وقسوة، يشجعها على الاستفحال تجاوب الرأي العام وافتقاد القانون الرادع.

وما زالت الصورة المشوهة للإسلام والعرب مستمرة في الدراسات الاستشراقية وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام، وفي أمريكا بوجه خاص ... وإنه ما زالت تنشر الكتب والمقالات دون توقف عن الإسلام والعرب، وهي لا تختلف إطلاقًا عن الجدل الخبيث المعادي للإسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة[1].

ويسعى المستشرقون في المستقبل لتحقيق هدف أكثر طموحًا، إذ يقول هاري درومان: (لن يكون تركيز

---

(١) د. محمد عبد الله الشرقاوي «الاستشراق» (ص ٥٤).

المبشرين في السنوات القليلة القادمة على تغيير ديانة أفراد المسلمين مثل عنايتهم بتغيير الإسلام نفسه)[١].

الرابع: صلة الصحوة الدينية الراهنة بالغرب بازدياد الهجمات على الإسلام ورسوله ﷺ.

هناك صحوة دينية في الغرب قد يغفل عنها البعض - ولكننا لا نغفل - لأنها ذات صلة وثيقة باشتداد الحملات على الإسلام ورسوله ﷺ وهي تمد الحرب الصليبية المعاصرة بالوقود اللازم لاستمرار اشتعالها، ولو بقي الغرب محافظًا على قشرة «العلمانية» التي خدعنا بها، لما ظهرت أحقاده الدينية المتوارثة سافرة بلا خجل، وقد ظهرت للعيان في عدة مواقف وسلوكيات لا تخفى على أحد: منها احتضان الكاتب الهندي سلمان رشدي والدفاع عنه بحرارة، التصريح المهين لبابا روما وإصراره على عدم الاعتذار للمسلمين والرسوم المسيئة للرسول

(١) نفسه (ص ٥٥).

ﷺ بالـدانمارك، وآخرهـا منـع بنـاء مـآذن للمـساجد في سويسرا.

فليس إذن من الغريب في هذا البحث إيجاد الصلة بين ازدياد الهجمات على الإسلام ورسوله ﷺ وبين الصحوة الدينية المنتشرة في الغرب منذ نهاية القرن الماضي. يقول «جيل كيبل» -العالم الفرنسي في الأديان - تحت عنوان: «أوروبا أرض رسالة وإرسالية»: (ينفتح الربع الأخير من القرن العشرين في أوروبا الكاثوليكية على مفارقه، إذ يبدو المجتمع وكأنه لم يكن يومًا على هذا القدر الكثيف من الدنيوية العلمانية ومن اللانصرانية، ومع هذا فإن حركات معاودة تنصيره تنبعث وتتولد في كل مكان، ويعلل ظهور هذه الحركات بإفلاس العلمانية)[1].

---

(١) جيل كيبل «ثأر الله – الحركات الأصولية في الديانات الثلاثة» (ص ٥٩) ترجمة نصير، ويُنظر بحثه تحت عنوان: «انحلال سحر العلمانية والمفاصلة الكاثوليكية» (ص ٦٧-٩٠) وفي الأصل اللامسيحية.

ومن الدارسين من يرى أن أوروبا لم تكن منغمسة في العلمانية بالتعريف الشائع، فيقول «جيفري لانج»: (إن تعبير علمانية الغرب، تعبير خاطئ يجانبه الصواب تمامًا، كما يدلل الدكتور هوفمان على ذلك بتعانق الدين والدولة في ألمانيا كمثال، فهناك أعياد وإجازات دينية، وهناك جمعيات دينية تحظى باعتراف الدولة وحمايتها وتحصل الجهات المالية الحكومية ضريبة الكنيسة من أجل مساندتها، ويقوم مدرسون دينيون بتدريس مادة الدين في المدارس الحكومية، كذلك يتم الأخذ بالقسم بالله أمام المحاكم وفي القوات المسلحة، كما يتم توظيف رجال الدين بهذه القوات، ونجد على خرائط الفصول الدراسية بالمدارس المسيح مصلوبًا)[1].

---

(١) د. مراد هوفمان «الإسلام في الألفية الثالثة...ديانة في صعود» (ص ١٠١).

ويؤكد القس إكرام لمعي بأنه لم يحدث في عصر من العصور أن كان الدين محورًا للاهتمام للدرجة التي اختلط فيها الدين بالأسس والمبادئ التي تُبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية كعصرنا الحالي، ويستطرد فيقول: (أصبح الدين هو الملجأ الأخير الثابت الذي تتعلق به حضارات تنهار، وحضارات تريد أن تستيقظ من جديد)[1].

وربما يعني بذلك - بصفة خاصة - المقارنة بين الحضارتين الغربية والإسلامية.

وفي الدراسة التي أجراها الباحث الروسي ميران مشيدلوف، لفت أنظارنا إلى أنه بعدما انتهت سلطة البابا المعنوية ١٨٧٠م. عادت مدينة الفاتيكان ١٩٢٩م لتصبح أشبه بحكومة إقطاعية في المقر البابوي المقدس، ومما زاد

---

(١) إكرام لمعي «الاختراق الصهيوني للمسيحية» (ص٧).

من سلطتها العالمية أن العرف الدولي منح الدولة البابوية الحق في تعيين ممثلين لها في الدول المختلفة وإبرام المعاهدات وعقد الاتفاقيات، كذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية لها هيئة إدارية قوية، تضم مجموعات الكرادلة والمحاكم وغير ذلك مما يشكل الأداة الحاكمة للبابا[١].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد حدثت طفرة ثقافية دينية متمثلة بالتوظيف الكثيف للشاشة الصغيرة في الوعظ الإنجيلي «الكنائس المرئية» من أواسط السبعينات إذ شعر ملايين الأمريكيين بالحاجة إلى اعتناق أشكال التدين التي كان يقدمها رجال الدين المشهورين الذين نجحوا في صياغة التحول في عمق الأخلاق الاجتماعية بمقولة الخطاب الإنجيلي أو الأصولي وهناك اليوم أكثر من ٦٠ مليون شخص يعلنون أنهم مسيحيون معمدون «أي

(١) ميران مشيدلوف «الدين في العالم اليوم» (ص ١١٥، ١١٦) ترجمة جمال السيد.

وُلدوا ثانيةً» وهناك ٦٠ مليون آخرين يعتبرون أنفسهم مؤيدين للأخلاق الدينية، وهناك ٥٠ مليون يمتلكون مثلًا أعلى خلقيًا ويريدون أن يُربى أولادهم في مجتمع خلقي، فضلًا عن أن ٨٤٪ من الشعب الأمريكي يعتقدون أن الوصايا العشر لا تزال صالحة اليوم[1].

ويقول جيمس فين: (لا أحد يستطيع أن يفهم أمريكا وحرياتها، إلا إذا وعى وتفهم التأثير الذي باشره – وما زال يباشره – الدين في صنع هذا البلد)[2].

ولا يفوتنا ملاحظة أن المد الديني الغربي جعله يستدعي الرصيد المختزن من العداوة للإسلام، وينشره

---

(١) جيل كيبل «ثأر الله – الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاثة» (ص ١١٨).

(٢) رضا هلال «المسيح اليهودي ونهاية العالم» (ص ٩). وللتوسع ينظر مقال بعنوان: «خدعونا فقالوا: إن الغرب تخلى عن دينه» بكتابنا «المنهج السلفي ...لا الحداثة طريق النهضة».

على الملأ بأجهزة إعلامه بل يثير دهشتنا أن تُخصص جامعة في أمريكا لمحاربة الإسلام. وفي هذا الصدد يقول المهتدي للإسلام/ أحمد عبد الله «سابقًا رالف دنيس»: (أسلمتُ حيث كان يجب أن أكون من ألد أعداء الإسلام، فقد تعرفت على الإسلام في جامعة من أخطر الجامعات التي تخصصت في محاربة الإسلام: إنها جامعة برنستون)[(١)].

نفي الرواية المختلقة بأن الإسلام انتشر بحد السيف:

ظن الغرب كما يقول ويفالنج لنجرميس إنه بسبب ما سجله التاريخ من سرعة انتشار الإسلام بشكل لم يحدث قبله – ظن الغرب أن المسلمين فرضوه بالسيف، وينفي ويفالنج هذا الظن لأن سبب الحروب في بعض الأحيان كان بسبب أن أهل الديانات الأخرى أصروا على القتال،

---

(١) د. عبد الودود شلبي «الإسلام والغرب» (ص ١٠٧).

وكان المسلمون يعاملون أهل الكتاب – كما اعترف الرهبان– معاملة طيبة وكانوا أحرارًا في عباداتهم[١].

ويرى السير ريتشارد وود خطأ الاعتقاد بأن الإسلام دين القوة والسيف لمخالفة ذلك للواقع، لما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ويقول رينان العالم الفرنسي: (إن حب العلم والكمال قد حقق في القرن العاشر في تلك البقعة الممتازة من العالم «الأندلس» تسامحًا لا يوجد في عصور المدنية ما هو أعظم منه، ولقد سقطت جميع الحواجز التي تفصل بين الناس من المسلمين والنصارى واليهود، وأصبح جامع قرطبة حيث كان طلبة العلم يعدون بالألوف مركزًا حيًّا للدروس الفلسفية والعلمية)[٢].

---

(١) أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني» (ص ٩٠).

(٢) نفسه (ص ٩١، ٩٢).

وقد أنكر أيضًا الزعيم الهندي غاندي أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف ورأى أنه اتسم بالتسامح وأحرز إعجاب العالم كله بينما كان الغرب غارقًا في الظلمات، وقال: (وقد غدوت مقتنعًا كل الاقتناع أنه ليس السيف هو الذي جعل للإسلام مكانة في معترك الحياة بل إن بساطة النبي ﷺ التامة وإنكاره الكلي لذاته واحترامه الدقيق لعهوده وإخلاصه الشديد لأصدقائه وأتباعه وشجاعته وبسالته وثقته الكاملة بالله ورسالته هذه لا السيف هي التي جرفت كل شيء أمام المسلمين الأولين)[1].

وقد نفت الكاتبة البريطانية أرمسترونج الرواية المختلقة بأن الإسلام انتشر بحد السيف، تأتي أولًا بالرواية التي يرددونها في الغرب، فتقول: (وفي الغرب، غالبًا ما نتخيل محمدًا قائد حرب ماضيًا يلوح بسيفه ليفرض الإسلام على مجتمع كاره له بقوة السلاح) وتنفي هذه

(١) نفسه (ص ٩١).

الفكرة المخالفة لحقيقة الأحداث التاريخية التي أحاطت بدعوة النبي ﷺ، فقد كان يكافح مع أصحابه في سبيل الإبقاء على حياتهم وقد اضطروا لاستخدام السيف لتحقيق السلام في فترة اضطراب وانحطاط وقد اجتازوا سنوات أسى ورعب (فلم تتمكن الأمة من إنهاء حالة العنف والخطر في بلاد العرب إلا بجهد قاس)[1].

وتحلل لفظ «الجهاد» فتذكر أنه يعني أكثر من مجرد حرب مقدسة، فهو دال على مجهود جسماني وأخلاقي وروحاني وعقلي - والجهاد - خلافًا للرأي السائد في الغرب ليس أحد أركان الإسلام، وتتوسع في معناه ليشمل النضال في جبهات أخلاقية وسياسية وروحية من أجل

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص٢٥٣) ولم يفتها الإتيان بالحديث الموضوع «لقد عدنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر» وشرحته بقولها: أي إن الجهد الأكثر صعوبة وحسمًا هو هزيمة قوى الشر في نفس الإنسان، وفي مجتمع الإنسان في جميع تفاصيل الحياة اليومية.

تحقيق مجتمع عادل (يعيش فيه الإنسان وفقًا لإرادة الله وقد يكون الحرب والقتال ضرورة في بعض الأحيان، لكن ذلك جزء ثانوي من الجهاد أو النضال)[(١)].

وقد أتت بآية سورة الفتح وهي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقد علقت عليها كما فهمت منها بقولها: (وقد يعترض معترض قائلًا: إن هذه التقوى لها جانب عدواني، وقد يكون الهدف منها - فيما يبدو- هو «إغاظة» الكفار، ولكن تقاليد أديان التوحيد التاريخية الثلاثة تشترك في هذا

---

(١) المرجع السابق.

التصلب في الرأي وفي رفض أي حل وسط فيما يتعلق بأصول الدين. بل إن المسيح عليه السلام المسالم نفسه قد قال: إنه لم يأت بالسلام بل بالسيف، وسوف نجد في الأناجيل صورًا أشد ضراوة و«حمية» بكثير عما نجده أحيانًا في صورة التقوى الشائعة)[١].

وتضيف إلى ذلك أن المسلمين يستعملون القوة أحيانًا لقمع الطغاة والأنظمة الكريهة، إذ لم تُقمع، لغمر الشر العالم أجمع، وقد أجبر الأنبياء السابقون أحيانًا على الحرب والقتال، فلقد قتل جالوت بعون من الله.

ثم أتت بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقرَّبت أرمسترونج مفهوم الجهاد بوصفه حرب عادلة

---

(١) نفسه (ص ٣٣٤).

لبني جلدتها بقولها: (ويتفق نصارى كثيرون على مفهوم الحرب العادلة؛ لأنهم يعلمون أن المعركة المسلحة ضد أمثال هتلر وسيسكو هي الطريقة الوحيدة المؤثرة، ولهذا فبدلًا من أن يكون الإسلام دينًا سلبيًا يدير الخد الآخر، فهو دين يقاتل الطغيان والظلم)[1].

عرض لآراء بعض المنصفين في الغرب[2]:

* الكاتبة الإيطالية: د. لورا فاجليري.

---

(١) نفسه (ص ٢٥٩) فضلت تغيير اسم المسيحية الوارد بالنص إلى الوصف القرآني «نصارى».

(٢) وهناك أيضًا من يجهر بأن محمدًا ﷺ نبي مرسل، فقال نولدكه وهيرجرنجيه إنه صادق، وقال جولد زيهر وولز: «إنه أنجح الأنبياء». ومنهم إدوار مونتيه مدرس اللغات الشرقية في جامعة جنيف، فقد قال في مقدمته لترجمة القرآن: «كان محمد ﷺ نبيًا صادقًا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم»، محمد لطفي جمعة «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» (ص ٣٤)، و(ص ٥٥٤).

* الكاتب البريطاني: توماس كارلايل.
* الباحثة في الأديان: كارين أرمسترونج.
* الفيلسوف والأديب الفرنسي الشهير: فولتير.

أولًا: د/ لورا فاجليري:

وقد وقع اختيارنا على الدكتورة لورا فاجليري وهي كاتبة نصرانية وأستاذة بمعهد الرسالات الشرقية بميلانو لعرض موقفها كنموذج طيب من العقليات الغربية الكبيرة النزيهة واتسمت كتاباتها بالنزاهة والإنصاف[1].

تصف الرسول ﷺ بقولها: (كان محمد ﷺ غاية في التسامح متبعًا في ذلك المبادئ السماوية خاصة نحو أتباع الأديان التي تنادي بالتوحيد وعرف كيف يستعين بالصبر حيال الوثنيين وينتظر معتقدًا أن الوقت كفيل بإحداث

(١) محمد عبد الله السمان «مقدمة كتاب «تفسير الإسلام» للدكتورة لورا فاجليري (سلسلة الثقافة الإسلامية) العدد ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٩ هـ أكتوبر ١٩٥٩م.

التغيير المنشود).

أما عن وصفه ﷺ بالقسوة، فتقول: (والجواب على اتهام محمد ﷺ بالقسوة سهل ميسور، فمحمد ﷺ كرئيس دولة مسؤول عن حياة وحرية شعبه، عاقب في تطبيقه للعدالة عقابًا شديدًا أشخاصًا ارتكبوا جرائم، ويجب أن يُنظر إلى عمله هذا على ضوء الوقت الذي كان يعيش فيه، وعلى ضوء المجتمع الوحشي الشرير الذي كان يحيا وسطه، وكان محمد ﷺ في تبشيره بدين الله لطيفًا رحيمًا حيال أعدائه الشخصيين، وكانت الرحمة والعدل مغروسين فيه، وهما اثنتان من أنبل القيم التي يمكن للعقل الإنساني تصورها. وليس من الصعب أن نؤيد ذلك بأمثلة كثيرة من سيرته ﷺ يقول أحد مؤرخي سيرته: «أصبحت الحرب تلك الضرورة البشعة للحياة الإنسانية عملًا أقل قسوة في التطبيق العملي على

يديه»)[١].

وزعم أن النبي ﷺ دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مشابه له أو حتى بسورة منه، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[البقرة:٢٣] ومع أن هؤلاء الذين كانت لديهم القدرة على التعبير ببلاغة كبيرة كانوا كثيرين بين العرب فلم يستطع أي منهم إنتاج شيء يمكن مقارنته بالقرآن، لقد حاربوا النبي ﷺ بسواعدهم، ولكنهم فشلوا تمامًا في مباراة روعة القرآن)[٢].

وما زال لدينا دليل آخر على الأصل الإلهي للقرآن هو أن نصه قد ظل ثابتًا نقيًا طوال القرون الطويلة منذ نزوله

---

(١) د/ لورا فاجليري - أستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو- «تفسير الإسلام» (ص ٢٣، ٢٤) ترجمة أحمد أمين سلسلة الثقافة الإسلامية العدد ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٩ هـ، أكتوبر ١٩٥٩م.

(٢) نفسه (ص ٣٤).

إلى اليوم[١]. وقد توسعت في شرح رسالة النبي ﷺ الداعية إلى التوحيد، واتخذت من إخلاص صحابته، ونجاحهم في الفتوحات المذهلة ومن إعجاز القرآن وهي معجزة الإسلام العظمى وأخلاق الرسول ﷺ، اتخذت من كل ذلك أدلة على أنه ﷺ نبي صادق وأنه كان مجددًا لدين إبراهيم عليه السلام الذي حُرف من بعده، ووصفت القرآن الكريم بأنه أعظم معجزة، وأنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة، وتتساءل (كيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ وهو العربي الأمي؟!)[٢].

وفي ضوء فلسفة التاريخ التي تفسّر قيام الحضارات وسقوطها، تأملت النّقلة الهائلة التي انتقل بها العرب من

(١) نفسه (ص ٣٥).

(٢) لورا فينشيا فاغليري «دفاع عن الإسلام» ترجمة منير البعلبكي الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م.

[illegible] (١)

[illegible] (٢)

(١) نفسه، ص ٣٣.

(٢) نفسه، ص ٣٦.

وسنرى كيف قطعت ألسنة أعدائه الذين اختلقوا عنه الأباطيل، فاتهموه ﷺ بالكذب والقسوة، وتصدت تدافع عنه ﷺ متسلحة بمنطق العقل ومستندة إلى سيرته العطرة ﷺ وتاريخ حضارة الإسلام وسير صحابته وإبراز الوجه الناصع لتاريخ المسلمين المتميز.

وتعلل انتشار الإسلام – لا بالقوة- بل لأنه يستند إلى الكتاب الذي قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة - كتاب الله – كلمة الحق، أعظم معجزة، كان في ميسور محمد ﷺ أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض، «ومن مميزات القرآن أنه ممتنع على التقليد والمحاكاة، وأن نصه ظل صافيًا طوال قرون مما يبرهن على مصدره الإلهي، وأنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حسًّا عميقًا من المهابة والخشية»[(١)].

---

(١) نفسه (ص٥٨ و ٥٩).

كان المثل الأعلى الذي أراد محمد ﷺ أن يحققه بأي ثمن، فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان، أو قل: قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب ولكنه مُكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميره بالقوة، وإنما نهض بهذه المهمة وأنصاره قلة قليلة، ولكنه نهض بها واثقًا من أنه كان يمهد السبيل لإيصال الحقيقة إلى كثير من النفوس، ومن أنه كان مكلفًا بأن يهدي الناس سواء السبيل في غمرة الظلام، وعند وصوله إلى المدينة مدَّ يد الصداقة أول ما مدَّها إلى اليهود الذين مثلوا في هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة.

لقد دعاهم إلى التعاون الصادق في وحدة سياسية واجتماعية. ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداءً مطلقًا وأنهم مصرون على اتباع سبيل خاطئة غادرة تعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم. كانت الحرب ضد الأعداء الخارجين

ضرورة من ضرورات العصر[١].

لقد كانت الحرب دائمًا وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، لا غاية في ذات نفسها. كانت دفاعًا ضروريًا، لا عدوانًا جائرًا، ولقد عبر القرآن عن هذه الفكرة بأجلى بيان: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وتنفي تهمة الروح العدوانية للإسلام فتذكر أن الرسول ﷺ الصابر على سخرية قريش واضطهادها (اضطر أن يمتشق الحسام بعد أن فوض الله تعالى إليه أمر الدفاع عن نفسه ورد كيد أعدائه، ومن ذلك الحين لم يعطه أولئك الأعداء أيما مهلة تمكنه من إعادة الحسام إلى غمده)[٢].

وقالت الدكتورة لورا فاجليري في دفاعها عن النبي ﷺ: «قام أعداء الإسلام الألداء الذين أعماهم الحقد

---

(١) نفسه (ص ٣٠، ٣١).

(٢) نفسه (ص ٢٣).

والتعصب، واتهموا رسول الله ﷺ ذلك الرجل النبيل الذي كان يُنظر إليه قبل الرسالة نظرة إكبار وإجلال من جميع مواطنيه لما تحلى به من الأمانة والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمة التي رموه بها مما لا يقبله عقل ولا يمكن أن يسلم به عاقل، فضلًا عن أنها لا تقوم على أي أساس... (وليت شعري كيف أن هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم إذا كان النبي ﷺ في الحقيقة كاذبًا «حاشاه»، فكيف اجترأ على أن يوجه في القرآن إلى الكذابين والمخادعين أشد عبارات الذم وأقساها. وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب؟ وكيف تسنى له أن يقوم بدعوته إذا لم يكن هناك وحي إلهي يدفعه إليه؟... وكيف صمد للمقاومة أكثر من عشر سنين وهو في مكة، احتمل أثناءها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام، وهو ذلك الرجل الوديع الهادئ الطباع؟ وكيف تهيأ له أن ينحاز إليه

طواعيةً واختيارًا بل بمنتهى التحمس جماعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم وأن ينحنوا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد؟ أوليس ذلك لأنهم تبينوا صدقه ﷺ وتحققوا من صحة ما جاء به؟ حسبنا ما قدمناه من الأدلة والبراهين؛ لأن رجال الغرب أيضًا قد بدأوا يقتنعون بأن إخلاص محمد ﷺ في دعوته كان أمرًا لا ريب فيه)[1].

ثانيًا: الكاتب البريطاني توماس كارلايل.

وتوماس كارلايل هو أحد القلائل الذين عارضوا الأباطيل التي أذاعها نفر من بني جلدته النصارى حول النبي ﷺ، وكان يعتمد - كما سنرى - على حجج عقلية دامغة، وتفنيد الأباطيل بدراسته الشاملة لتاريخ العرب

---

(١) د. لورا فينشيا فاغليري «محاسن الإسلام» (ص ٢١، ٢٢) ترجمة طه فوزي، قدم له شكيب أرسلان في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥٢ هـ.

وعقائدهم وطباعهم وعاداتهم قبل الإسلام وبعده، وأخذ يتعقب سيرة الرسول ﷺ منذ مولده وكيف كانت رسالته صامدة لأهل الجزيرة العربية، واصفًا الرسول ﷺ بالصدق والأمانة والإخلاص في إبلاغ دعوته.

ولا يصرفنا تقديرنا لموقف كارلايل الشجاع بمواجهته للمفترين من النصارى ببلده، لا يصرفنا ذلك عن نقد منهجه بكتابه «الأبطال» - مصدر دراستنا- إذ وقع في خطأ فادح لخلطه بين «الأبطال» بعقائدهم وعظائم أعمالهم التي تميزهم عن سائر الناس، وبين الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين اصطفاهم الله ﷻ لإبلاغ دينه، وقد خلط بين هؤلاء وأولئك بقوله: (وكل ما تراه قائمًا في هذا الوجود كاملًا متعمقًا فاعلم أنه نتيجة أفكار أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس)[1].

(١) توماس كارلايل «الأبطال» (ص ١٣) ترجمة محمد السباعي.

وبدأ في المحاضرة التي خصصها للحديث عن الرسول ﷺ بقوله: (ننتقل الآن من تلك العصور الخشنة. الوثنية الشمالية إلى دين آخر في أمة أخرى ... دين الإسلام في أمة العرب، وما هي إلا نقلة بعيدة وبعد شاسع بل أي رفقة وأي ارتقاء نراه هنا في أحوال العالم وأفكاره؟ في هذا الطور الجديد لم ير الناس في بطلهم إلهًا بل رسولًا بوحي من الإله، وهذه هي الصورة الثانية للبطل، لقد كان اعتبار الرجل العظيم إلهًا غلطة وحشية فاحشة)(١).

وقد نفى بشكل حاسم الاتهامات الموجهة للرسول ﷺ: «فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ﷺ ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن

(١) كارلايل «الأبطال» (ص ٥٢) ويقصد بذلك أن قدماء السويد والنرويج كانوا يعبدون شخصًا اسمه «أودين» ويصفه بأنه كان قطب دائرة الوثنية في تلك الأقطار (ص ١٥).

أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هؤلاء الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة وخدعة؟!»[١].

وكان شديد اللهجة في وصف القائلين بذلك من بني جنسه، فيقول تارة: (لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب)[٢].

ويعبّر في موضع آخر عن حبه للرسول ﷺ وواصفًا أخلاقه، ومثبتًا صفة رسالته العالمية بخطابه إلى قياصرة الروم وأكاسرة العجم: (وإني لأحب محمدًا ﷺ لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان رجلًا مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه، ولم يك متكبرًا، ولكنه لم يكن ذليلًا فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده

(١) نفسه (ص ٥٣).

(٢) نفسه (ص ٥٣، ٥٤).

الله، وكما أراد، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم على ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة)[١].

وبعد ذلك يفصح عن رأيه الذي خلص إليه من دراسة سيرة النبي ﷺ فيقول: (فلسنا نعد محمدًا ﷺ هذا قط رجلًا كاذبًا متصنعًا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسائل التي أداها إلا حق صراح)[٢].

ثم يقرر في عبارة واضحة جلية بما سماها بالحقيقة الكبرى (وهي أنه رجل صادق ونبي مرسل ﷺ)[٣].

---

(١) نفسه (ص ٧٩).

(٢) نفسه (ص ٥٥).

(٣) نفسه (ص ٥٥).

وينفي كارلايل تلقي الرسول ﷺ العلم من بحيرا الراهب بقوله: (وإني لست أدري ماذا أقول عن هذا الراهب الذي يزعم أن محمدًا ﷺ سكن معه في دار، ولا ماذا عساه يتعلمه غلام في السن الصغيرة من أي راهب ما. فإن محمدًا ﷺ لم يكن يتجاوز آنذاك الرابعة عشرة، ولم يكن يعرف إلا لغته)[١].

ونضيف هاهنا أن قصة التقاء الرسول ﷺ للراهب بحيرا تعرضت لنقد علمي وفق منهج علماء الحديث في الجرح والتعديل، إذ ضعف الشيخ رشيد رضا هذه القصة وقال بأن الروايات الخاصة بها ضعيفة الإسناد إلا رواية الترمذي وليس فيها بحيرا وفيها غلط في المتن وليس في شيء منها أن محمدًا ﷺ سمع من بحيرا شيئًا عن عقيدته أو دينه «ولم يكن بحيرا – إن وجد حقيقة أبله على درجة

---

(١) نفسه (ص ٦١).

أن يفاتح صبيًّا صغيرًا بمثل هذه الأسرار العليا»[١].

---

(١) محمد لطفي جمعة «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» (ص ٥٥٠).

تتلخص الرواية التي أوردها البيهقي في كتابه «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» فيما يلي:

(أن الراهب - ويسمى «بحيراء» - سأل الرسول ﷺ عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيراء من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه، من صفته التي عنده. قال: فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: أهذا الغلام منك؟ فقال: ابني. فقال له بحيراء: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا. قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات، وأمه حبلى به. قال: صدقت. قال: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن).

البيهقي: «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨، ٢٩) تحقيق د/ عبد المعطي وقد أورد الرواية صفي الرحمن المباركفوري في كتابه «الرحيق المختوم» ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م تحت عنوان «بحيرى الراهب» حيث أخذ بيد=

ويقول كارلايل في موضوع آخر - متحدثًا عن الوحي - مع التحفظ (فمن فضائل الإسلام التضحية بالنفس في سبيل الله، وهذا أشرف ما نزل من السماء على نبي الأرض. نعم هو نور الله قد سطع في روح ذلك الرجل فأنار ظلماتها، هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك، وقد سماه محمد ﷺ وحيًا «جبريل» وأينا يستطيع أن يحدث له أسماء؟ ألم يجئ في

= رسول الله ﷺ، وقال: «هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين» (ص ٧٦).

وقال في الحاشية: «انظر: «جامع الترمذي»، و«تاريخ الطبري»، و«المصنف» لابن أبي شيبة، و«دلائل النبوة» للبيهقي، ولأبي نعيم وإسناده ثابت وقوي».

ولم يرد قط في رواية التقاء الراهب بحيرى بالرسول ﷺ أنه سكن معه أو تعلم منه، بل كان لقاءً عابرًا، وأخذ الراهب يسأل الرسول ﷺ فيجيبه.

الإنجيل أن وحي الله يهبنا الفهم والإدراك؟ فشعور محمد ﷺ إذًا اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على الناس علمه لم يكن إلا أمرًا بديهيًّا، وكون الله قد أنعم عليه بكشفها، ونجاه من الهلاك والظلمة، وكونه قد أصبح مضطرًا إلى إظهارها للعالم أجمع هذا كله هو معنى كلمة «محمد رسول الله» وهذا هو الصدق الجلي والحق المبين)[1].

وبعد استبعاد عبادة الأصنام وهي ليست سوى أخشاب حقيرة فإنه يعلن في عبارة جامعة (وأن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، فهو الحق وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا، الله أكبر ولله الحمد، ثم الإسلام وهو أن نسلم الأمر لله ونذعن له ونسكن إليه ونتوكل عليه، وأن القوة كل القوة هي في الاستقامة لحكمته والرضا بقسمته

(١) كارلايل «الأبطال» (ص ٦٧).

أيًا كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة، ومهما يصبنا به الله ولو كان الموت الزؤام فلنتلقه بوجه مبسوط ونفس مغتبطة راضية ونعلم أنه الخير وأن لا خير إلا هو. ولقد قال شاعر الألمان وأعظم عظمائهم «جوته» إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا إذن مسلمون. نعم كل من كان فاضلًا شريف الخلق فهو مسلم)[1].

ثالثًا: كارين أرمسترونج الباحثة في الأديان.

أقدمت الكاتبة البريطانية كارين أرمسترونج الباحثة في الأديان بشاجعة لتكتب عن الإسلام وعن الرسول ﷺ بمنهج علمي موضوعي[2] مستند على مصادر تاريخية، وتناقش مخالفيها بحجج عقلية دامغة، غير مبالية باتهامها بالنفاق، فقالت: «ولو أن كلامي هذا سيجلب لي تهمة

---

(١) نفسه (ص ٦٦)، ومراده فقد طبق تعاليم الإسلام، وإلا فإن من المعلوم أن حسن الخلق وحده لا يكفي في جعل الشخص مسلمًا.

(٢) في الجملة وإلا فلم تسلم كتاباتها من الخطأ والانحراف.

النفاق من وجهة نظر أوبريان، الذي يحيي التقاليد التي تعتبر أي احترام للإسلام بمثابة خيانة ثقافية»[(١)]. وقد مضت في دراساتها لتثبت الوحي للرسول ﷺ وتنفي نقله عن اليهود والنصارى مؤيدة لمعنى أميته ﷺ بأنه الجهل بالكتابة والقراءة، وتعرف الإسلام بأنه استسلام المرء لله ﷻ مفسرة لفظ «الفارقليط» بالترجمة الصحيحة وتعني «أحمد» الذي هو تنويع على اسم «محمد».

وتورد الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦][(٢)].

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص ٦٨).

(٢) نفسه (ص ١٣٤).

وهكذا عرفوا حقيقة اسم «الفارقليط» الوارد في الإنجيل، ولابن تيمية شرح مفصل لمعنى هذا الاسم، قال: (فإن معنى الفارقليط، إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعز، فهذا الوصف ظاهر في=

وربما كانت عبارتها التالية معبرة باختصار عن منهجها في البحث المؤدي تلقائيًّا إلى النتائج الصحيحة، قالت: (وتثبت الدراسة الجادة للإسلام أن المثل القرآنية العليا قد ساهمت مساهمة كبيرة، على امتداد ١٤٠٠ سنة، في انتعاش الحياة الروحية للمسلمين وتوافق على النتيجة التي وصل إليها أحد الباحثين حيث ثبت لديه أن الشريحة المسلمة من المجتمع الإسلامي لا تزدهر إلا إذا كان

= محمد ﷺ فإنه وأمته، الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته).

ويمضي قائلًا: (وإذا كان كذلك، فهو ما جاء في القرآن: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، قالوا: ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد) (ص ١٠١) من كتاب «دلائل النبوة وأعلام رسالة النبي محمد ﷺ»، وهو مختصر كتاب ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» اختصره الدكتور / مصطفى حلمي.

الإسلام قويًّا وحيويًّا ونقيًّا وخلَّاقًا وسليمًا)[1].

كذلك فإنها تثبت الوحي الإلهي بقولها: (حينما تلقى النبي محمد ﷺ الذي ولد بمكة بالحجاز وحيه الأول عام ٦١٠ ميلادية لم يكن يعتقد أنه على وشك تأسيس ديانة عالمية جديدة، وكان محمد ﷺ الذي اشتهر بنزاهته أثناء اشتغاله بالتجارة في مكة، قد اهتم لفترة طويلة بالحالة الروحانية المتدهورة التي كانت مدينته تعاني منها - أي بعدم الرضا عن الوثنية القديمة)[2].

إلا أن ذلك كله تغير دون رجعة في شهر رمضان من عام ٦١٠م حينما اهتز كيان محمد ﷺ في حضور إلهي رهيب، ووجه كلمات كتاب مقدس موحى به تتدفق من فمه، واستمر محمد ﷺ على مدى السنوات الاثنتين والعشرين

---

(١) نفسه (ص ٦٩).

(٢) كارين أرمسترونج «القدس، مدينة واحدة، عقائد ثلاث» (ص ٣٦٩) ترجمة د. فاطمة نصر، ود. محمد عناني.

التالية، في تلقي الوحي من الله، وقد قام صحابة محمد ﷺ بعد ذلك بجمعه في مصحف عربي عُرف بالقرآن.

ويقول: "ويؤكد القرآن الكريم مرارًا أن الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ لا يلغي رسالات من سبق من الرسل مثل آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب وموسى وداود وسليمان وعيسى. أي: أن ما جاء بالقرآن هو إعادة تذكرة بالرسالة الواحدة التي أرسلها الله للأمم جميعها. وعلى هذا تكون الوثنية تفضيل عقيدة أو مذهب إنساني على الله ذاته الذي يسمو فوق كل الأنظمة الإنسانية، ولذا فإن المسلمين بعودتهم إلى العقيدة الأولى لإبراهيم يجعلون من الإيمان بالله، ليس أي مؤسسة دينية أخرى هدفًا لحياتهم"(١).

ويحكي أرمسترونج قصة تلقي الرسول ﷺ من

---

(١) السابق ص ٢٥٤.

اليهود والنصارى لأنه أمر بناءً على ما ورد بالقرآن الكريم بالعودة إلى دين إبراهيم عليه السلام.

فتقول: (دُهش النبي ﷺ حينما اكتشف تنازعهم (أي: اليهود والنصارى) على أمور عقائدية ليس بإمكان أحد أن يبرهن على صحتها أو عدم صحتها)[١].

وجاء الرسول ﷺ بالتوحيد مثل إبراهيم عليه السلام: «فلقد أمر القرآن المسلمين بالعودة إلى دين إبراهيم عليه السلام الأصل الخالص، ولقد عاش إبراهيم عليه السلام قبل التوراة والإنجيل، لذا لم يكن يهوديًا أو نصرانيًا وإنما كان ببساطة - مسلمًا - أي: إنسانًا سلم نفسه كلية لله عز وجل»[٢].

وتصف تغيّر القبلة بأنه أكثر إيماءات الإسلام إبداعًا، فقد كان ذلك التغيير علامة على عودة المسلمين إلى عقيدة إبراهيم عليه السلام الأصلية قبل انقسامها نتيجة لتشرذم

(١) نفسه (ص ٣٧٣).

(٢) نفسه (ص ٣٧٣).

اليهود والمسيحيين في طائفية متناحرة[١].

وقد ناقشت باستفاضة أمية الرسول ﷺ لترد على بعض الدارسين الغربيين المحدثين الذين نفوا بأن لقب «أميّ» تعني الجهل بالقراءة والكتابة إذ كان النبي ﷺ قد ألمّ بمبادئ الكتابة، ويذهبون إلى معنى أنه ﷺ كان نبيًا «لأميين» الذين لم يتلقوا كتابًا سماويًا من الله، وبمعنى آخر يفسر لفظ الأميّ على أنه يعني غير اليهودي «النبي المرسل لغير اليهود» وواصل البعض من هذا المنطلق تأكيدهم أن لفظ أمي متصل بلفظ أمة، ويعني في هذا السياق نبي القوم.

وكانت موفقة في الرد عليهم بقولها: (إنه من الحماقة أن نتحدى التفسير الموروث للمسلمين للفظ «أميّ» كما أنه لا يوجد في المصادر الأولى أي ذكر عن قدرة محمد ﷺ على الكتابة والقراءة، وحينما كان يحتاج لإرسال

---

(١) نفسه (ص ٣٧٧).

خطاب يمليه على أشخاص مثل علي رضي الله عنه الذي كان ملمًّا بالقراءة والكتابة، ولو كان صحيحًا أن محمدًا ﷺ قد أخفى مقدرته على الكتابة والقراءة طيلة حياته لكانت تلك خدعة كبرى، وخلافًا لكون ذلك منافيًا لطبيعته ﷺ)[1].

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص ١٣٦) ترجمة فاطمة نصر، ود. محمد عناني ط ٢ سطور ١٩٩٨م.

وقد أفحمت كارين أرمسترونج مخالفيها من المغالطين في تفسير أمية الرسول ﷺ، ومع كثرة استشهادها بالآيات القرآنية، نرجح أنها فهمت معاني الآيات التي نعتته ﷺ بالأمية كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وربما اطلعت على تفسير الإمام الطبري أو غيره من المفسرين.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] «الأمي» عند العرب: هو الذي لا يكتب. =

....

= قال أبو جعفر: «وأرى أنه قيل للأمي: «أمي» نسبة له بأنه لا يكتب إلى «أمه»؛ لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنُسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال -إلى أمه- في جهله بالكتابة دون أبيه». تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن» (١/ ٤١٧).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو نبيكم ﷺ كان أميًا لا يكتب. «نفسه (٦/ ٨٤)».

وقال الشيخ رشيد رضا: «﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ نسبة إلى الأم، والمراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب» السيد محمد رشيد رضا «تفسير القرآن الحكيم -الشهير بـ«تفسير المنار»- (٩/ ٢١٦).

وقد اتخذ الطبيب الفرنسي المهتدي للإسلام -موريس بوكاي- من أمية الرسول ﷺ دليلًا قطعيًا على أن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، وذلك أثناء مقارنته بين مسألتي الخلق والطوفان -كما وردتا بالتوراة والقرآن الكريم وخلص من دراسته إلى القول بعدم اتفاق العلم مع أقوال التوراة، بينما رأى اتفاقًا كاملًا بين أقوال القرآن الخاصة بنفس المسائل وبين العلم الحديث، ثم قال: (ومن ذلك يمكن ملاحظة الفروق التي تجعل بالدقة أحد النصين مقبولًا علميًا في العصر الحديث على حين تجعل الآخر غير مقبول) -موريس بوكاي=

رابعًا: الفيلسوف الفرنسي والأديب الشهير فولتير:

وهناك أيضًا حالة خاصة يعبر عنها الفيلسوف الفرنسي والأديب الشهير فولتير تستحق العناية والاهتمام من جانب الباحثين، إذ مما يلفت النظر، أنه بعد تنحيه عن أقواله الأولى المتسرعة عن الإسلام والرسول ﷺ ظلت المؤلفات في الغرب تردد كلماته السابقة، أي: قبل تحوله إلى مرحلة تصحيح المفاهيم، وها هي آراؤه الأخيرة، وفحواها أن القرآن لا يزال في واقع الأمر يشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزًا وسموًّا، لقد ألصقنا بالقرآن ما لا

= «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» (ص ١٤٩).

وفي نهاية بحثه يدحض فرض الذين يرون في محمد ﷺ مؤلفًا للقرآن، ويتساءل متعجبًا ومستبعدًا هذا الفرض تمامًا، (كيف يمكن لإنسان – كان في بداية أمره أميًّا... أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها؟!!) نفسه (ص ١٥٠).

نهاية له من السخافات التي لم تكن به على الإطلاق.

ثم فند الشدة المزعومة في معاملة النساء بقوله: (كان يكفي قراءة السورتين الثانية والرابعة من القرآن حتى يهتدي الناس إلى الحق).

ودفاعًا عما يُنسب للرسول ﷺ قال: (كما أننا لا نستطيع أن ندينه على عقيدته في الإله الواحد، فهذه هي كلمات السورة رقم ١١٢ تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، إنني أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعل سيفه، وفي كلمة موجزة، فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلى الإعجاب به)[1].

---

(١) «القاموس الفلسفي» لفولتير - المجلد السابع، نقلًا عن اللواء أحمد عبد الوهاب في كتابه «الإسلام في الفكر الغربي - دين ودولة وحضارة» (ص ٥٠، ٥٣، ٥٤)، وقد أساء «فولتير» إساءة بالغة للرسول ﷺ في مسرحية شهيرة بعنوان «التعصب أو محمد النبي ﷺ»=

ومن أقواله: (إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر في جعل نساءنا تقف في صفهم لقد أقنعوهن بأن محمدًا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعًا إماء وفق شريعة القرآن... ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة - أيها الجهلة الأغبياء - الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هي ليست شيئًا من ذلك)[1].

***

=عُرضت لأول مرة في مدينة ليل بفرنسا سنة ١٧٤١م ثم تراجع رويدًا رويدًا عن أباطيله في الإسلام ونبيه ﷺ، ونعته بكل أوصاف التمجيد والإكبار.

(١) لواء أحمد عبد الوهاب «الإسلام في الفكر الغربي» ص ١٣٢ ويذكر أن مسرحيته كانت تعبر عما كان سائدًا في أوروبا حين عرضها آنذاك، ولا يزال في أغلبه إلى الآن (ص ٨٩).

مقتطفات من مواقف بعض علماء الغرب الملتزمين بالمنهجية العلمية في دراساتهم الإسلامية:

ونورد فيما يلي آراء بعض العلماء الذين تحرروا من التعصب الذميم وسمح لهم الاطلاع الواسع على مصادر الإسلام إصدار الحكم الصائب بخلاف آراء أغلب المستشرقين التي تشهد على نقص الاطلاع على المستوى التاريخي العلمي ولا حجة لهم، إذ تقول أرمسترونج الباحثة في الأديان: (إننا نعرف عن محمد ﷺ أكثر مما نعرف عن مؤسس أي دين من الأديان الرئيسية الأخرى وأن دراسة حياته يمكن أن تهبنا إدراكًا عميقًا ومهمًّا لطبيعة التجربة الدينية)[1].

وإزاء طغيان الصورة المزيفة التي كونها النصارى للرسول ﷺ وتعرضه للتجريح قرر الدكتور ميجيل

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص ٢٤).

إيرناندت الأستاذ بجامعة مدريد في بحث له بعنوان «الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي ﷺ» كان قد قدمه للمؤتمر الثاني للحوار الإسلامي المسيحي الذي عقد في قرطبة بأسبانيا عام ١٩٧٧م قرر فيه بقوله: «لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلمًا على مدى التاريخ مثل محمد ﷺ إن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم محمد ﷺ استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. ولم يمنع الاحتكاك المباشر بين الطائفتين من انتشار هذه الخرافات»[١].

وكتب برنارد لويس عن الإسلام يقول: «أرسل الله الملك جبريل ليملي القرآن على محمد ﷺ بهذا يكمل القرآن سلسلة الوحي التي سبقت إلى أنبياء اليهود وإلى

---

(١) لواء/ أحمد عبد الوهاب «الإسلام في الفكر الغربي» (ص ١٢).

عيسى ومن ثم يكون محمد ﷺ أعظم الأنبياء وخاتمهم ويكون القرآن هو «الكتاب» الأخير وبمقارنته رسالة النبي ﷺ برسالات الأنبياء قبله، خلص إلى القول: (ولقد كان الأنبياء الكثيرون الموحدون وتلاميذهم الذين شاركوا في هذا الصراع قبل محمد ﷺ كانوا جميعًا مسلمين. وتدل كلمة الإسلام على الدين الحق الذي دعا إليه كل المرسلين الذين اختارهم الله)[١].

ونفس المنهج اتبعه مارسيل بوازار فقرر أن محمدًا ﷺ جاء بالرسالة الخاتمة مصححًا انحرافات البشرية.

قال مارسيل بوازار – وهو أستاذ جامعة سويسري –: (إن شرائع متنوعة عرف الله بها الناس عن طريق أنبياء مختارين ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] إلا أن تلك الأمم لم تلتزم دائمًا بالشريعة التي جعلها الله لكل منهم، على الرغم

---

(١) نفسه (ص ٤٥، ٤٦).

من النذر التي جاءتهم فجاء محمد ﷺ يحمل الرسالة النهائية التي أعدت لتصحيح الأخطاء أو التحريفات التي لحقت بما سبق من وحي، وليكمل نهائيًّا نقل الشريعة الإلهية إلى الناس)[١].

ومن مؤلفي الإفرنج الذين أقروا بنبوة محمد ﷺ إدوارد مونتيه –مدرس اللغات الشرقية في جامعة جنيف– فقد قال في مقدمة ترجمته للقرآن: (كان محمد ﷺ نبيًّا صادقًا، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه).

العالم الأمريكي: مايكل هارت:

كذلك أقر العالم الأمريكي مايكل هارت – وهو عالم فلكي رياضي، يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية – أقر بنبوة

---

(١) نفسه (ص ٨٤، ٨٥).

محمد ﷺ حينما وازن بين رسالته ودوره وبين دور عيسى عليه السلام فقال: (إن الرسول محمدًا ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة النصرانية، وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسؤول عن مبادئ الأخلاق في النصرانية، غير أن القديس (بولس) هو الذي أرسى أصول الشريعة النصرانية، وهو أيضًا المسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب (العهد الجديد).

أما الرسول ﷺ فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده. وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملًا. وسجلت آياته وهو ما يزال حيًّا. وكان تسجيلًا في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد. وليس في النصرانية شيء مثل ذلك.

فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم النصرانية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة النصرانية)[١].

ونأتي أخيرًا بنص اعتراف أحد أعدائه ﷺ الذي اضطر إلى الإقرار بالحقيقة فقد نقل «سيل» في مقدمة ترجمة القرآن عن «هميس» النصراني عدو محمد ﷺ ومنكر رسالته في الصفحة السادسة طبعة ١٨٥٠ ما يأتي في صفة

(١) مايكل هارت «محمد ﷺ أعظم الخالدين» (ص ١٠) ترجمة أنيس منصور.

النبي ﷺ: (إنه كان حسن الوجه وذكيًّا وكانت طريقته مرضية، وكان الإحسان إلى المساكين من شيمته، وكان يعامل الكل بخلق حسن، وكان شجاعًا على الأعداء. وكان يعظم الله تعظيمًا كبيرًا، وكان يشدد على المفترين الذين يرمون الأبرياء، وكذا الزناة والقتلة، وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور، وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود وصلة الرحم والإحسان وتعظيم الأبوين وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدًا مرتاضًا حتى الغاية)[١].

***

(١) عبد الرحمن العيسوي «لماذا أنا مسلم؟» (ص ٨٣، ٨٤).

الخاتمة

يتبين لنا من العرض المختصر لآراء أولئك الغربيين المنصفين أن تقديرهم للرسول ﷺ مبني على أمرين:

أحدهما: قراءة واعية لسيرته ﷺ، فإن استخدام العقل الفطري بميزانه السوي، ومعرفة أخلاقه ﷺ ورسالته وجهاده الذي قلب أحوال العرب رأسًا على عقب، أدى إلى إقرارهم بصدق نبوته ﷺ.

هذا التحول المذهل الذي أطلقت عليه الكاتبة الإيطالية د/ لورا فاجليري: (النقلة الهائلة التي انتقل العرب بها من الجاهلية إلى الحضارة) بسماتها العقيدية والتشريعية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية. هذا التحول اتخذه الشاعر الألماني الشهير «جوته» أيضًا برهانًا على صدق نبوة النبي ﷺ فبدراساته لشعراء العرب كنموذج اتضح له أنهم كانوا كذلك قبل محمد ﷺ بكثير،

ولكنه عندما ظهر بينهم ودعاهم إلى دينه وتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن واستطاع أن يهديهم للإيمان بهذه المعجزة اللغوية، إنما غير في الواقع من أخلاقهم وعاداتهم كما غير من شاعريتهم، فالإيمان بالله الواحد الأحد وبأنبيائه ورسله، والتسليم بمشيئته والإذعان لأمره، وانتظار يوم الحساب، والرحمة بالفقراء والإحسان إلى المساكين أصبحت هي طابعهم الجديد)[١].

الأمر الثاني: وبإمكاننا «أيضًا» أن نرجح تأثرهم بمارتن لوثر «توفي ١٥٤٦م» الذي رفض اتهامات رجال الكنيسة الباطلة للرسول ﷺ واطلاعه على ترجمة القرآن فإنه من المأثور عنه أنه كان يعرف القرآن الكريم معرفة جيدة، وله

---

(١) كاتارينا مومزن «جوته ١٧٤٩هـ - ١٨٣٢م، والعالم العربي» (ص٣٩) ترجمة د/ عدنان عباس علي - مراجعة د/ عبد الغفار مكاوي عالم المعرفة ١٩٤ الكويت، رمضان ١٤١٥ هـ، فبراير ١٩٩٥م.

كتابات علمية تدل على مدى اهتمامه وتأثره به، وكان معروفًا بعداوته لرجال الكنيسة حتى قال: (أولى أن نكون تحت حكم الأتراك من أن نكون تحت حكم الباباوات... وأن المسيح الدجال الحقيقي في الواقع ليس محمدًا ﷺ، بل البابا في روما... وأن كنيسة روما هي كنيسة الشيطان)(١).

أما دوافع أعداء الإسلام ورسوله ﷺ فليس من الصعوبة معرفتها إذ سبق للقرآن الكريم أن أماط اللثام عنها، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ويرى الشيخ رشيد رضا أن الحسد هو الدافع كما ورد

---

(١) د. السيد محمد الشاهد «رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم» (ص ١٠٠) بتصرف، وقد اتهمته الكنيسة بأنه يريد أن يقيم مملكة محمد ﷺ بدلًا من مملكة عيسى عليه السلام وأن بعض رفاقه قد أسلموا - (ص ١٧٢).

في هذه الآية وأن (حسدهم لم يكن عن شبهة دينية أو غيرة على حق يعتقدونه، وإنما هو خبث النفوس وفساد الأخلاق والجمود على الباطل، وإن ظهر لصاحبه الحق، ولذلك قفاه بقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾، أي: بالآيات التي جاء بها النبي ﷺ وبانطباق ما يحفظون من بشارات كتبهم بنبي آخر الزمان عليه ﷺ)[1].

كذلك الإصرار على كتمان الدلائل الدالة على صحة نبوة الرسول ﷺ ودينه. قال الرازي: (إنه تعالى لما حكى عن اليهود شبهًا طاعنة في نبوة محمد ﷺ وأجاب عنها، أتبعه بهذه الآية وذلك لأنه تعالى أوجب عليهم في التوراة والإنجيل على أمة موسى وعيسى عليهما السلام أن يشرحوا ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على صحة دينه وصدق نبوته ورسالته، والمراد منه التعجب من

---

(١) (١/ ٤٢) «تفسير المنار».

حالهم، كأنه قيل: كيف يليق بكم إيراد الطعن في نبوته ودينه مع أن كتبكم ناطقة ودالة على أنه يجب عليكم ذكر الدلائل الدالة على صحته ونبوته ودينه؟)[١].

الوصية المقترحة:

تعريف الشعوب غير المسلمة بقارات أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا بأصول الإسلام بعقائده وشرائعه وقيمه الأخلاقية، وذلك بشكل إعلامي موسع بتخصيص قنوات فضائية باللغات الأجنبية «الإنجليزية، الفرنسية، الروسية، اليابانية، الصينية» لتحقيق غرضين:

الغرض الأول:

بيان إمكان تطبيقه في الحياة المعاصرة بدروبها المتشعبة في السياسة والاقتصاد ونظم التربية والتعليم

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٢٧٨) ويبدو أن الإصرار على الكتمان ظل متوارثًا بين الأجيال إذ ما ورد في الآيات القرآنية ما زال متحققًا في عصرنا الحاضر كما تحقق في عصر النبي ﷺ.

والعلاقات بين الأفراد والأمم، وهو ما تحقق بالفعل لنحو ثمانية قرون باعتراف أحد علماء فرنسا إذ يقول: «ونحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على جميع الشعوب العريقة في الفضائل، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري في مدة ثمانية قرون، بينما كنا يومئذٍ مثال الهمجية[1]»، مع الاستناد إلى بعض دراسات علماء الغرب المنصفين المتحرين الصدق والموضوعية في دراساتهم عن الحضارة الإسلامية» وأقترح الاستفادة من مواقف الشخصيات التي قدمناها بالبحث كنماذج.

والغرض الثاني:

الرد على الشبهات والاتهامات التي يكيلها الإعلام

(١) أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني» (ص ٦٩) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م وهو قول هنري دي شامبيون مدير «ريفوياد لمنتر» الفرنسي.

الغربي للإسلام وتفنيدها بمنهج علمي موثق استنادًا إلى الأدلة العقلية والوقائع التاريخية الصحيحة.

ونرشح التوسع في استخدام منهج شيخ الإسلام المقترح لمخاطبة أهل الكتاب، كما أسلفنا في البحث.

وبالله التوفيق،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

***

قائمة المراجع

(١) ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» قدم له وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني مطبعة المدني القاهرة رجب ١٣٨١ هـ - يناير ١٩٦٢م.

(٢) لواء / أحمد عبد الوهاب «الإسلام في الفكر الغربي» مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩٣م.

(٣) إكرام لمعي «الاختراق الصهيوني للمسيحية» دار الشروق ١٩٩١م.

(٤) أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني» المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

(٥) توماس كارلايل «الأبطال» ترجمة محمد السباعي مكتبة مصر بالفجالة القاهرة ١٩٩٤م.

(٦) جيل (كيبل) «ثأر الله – الحركات الأصولية في الديانات الثلاثة» ترجمة نصير – دار قرطبة – ليماسول ١٩٩٨م.

(٧) د/ جلال أمين «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» دار الشروق بمصر ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤م.

(٨) رضا هلال «المسيح اليهودي ونهاية العالم» مكتبة الشروق ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م. وللتوسع ينظر مقال بعنوان: «خدعونا فقالوا: إن الغرب تخلى عن دينه» بكتاب «المنهج السلفي ... لا الحداثة طريق النهضة» للدكتور/ مصطفى حلمي.

(٩) د/ عبد الودود شلبي «الإسلام والغرب» مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤م.

(١٠) د/ عبد الرحمن بدوي «دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره» ترجمة كمال جاد الله ط الدار العالمية للكتب والنشر ١٩٩٩م.

(١١) عبد الرحمن العيسوي «لماذا أنا مسلم؟» مكتبة وهبة بالقاهرة رجب ١٤٠١ هـ مايو ١٩٨١م.

(١٢) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني.

(١٣) كارين أرمسترونج «القدس، مدينة واحدة، عقائد ثلاث» ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

(١٤) د/ لورا فاجليري -أستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو- «تفسير الإسلام» ترجمة أحمد أمين سلسلة الثقافة الإسلامية العدد ١٢ ١٣٧٩ هـ أكتوبر ١٩٥٩م.

(١٥) محمد عبد الله السمان «مقدمة كتاب تفسير الإسلام» للدكتورة / لورا فاجليري (سلسلة الثقافة الإسلامية) العدد ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٩ هـ أكتوبر ١٩٥٩م.

(١٦) د/ محمد عبد الله الشرقاوي «الاستشراق» دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٣م.

(١٧) محمد لطفي جمعة «ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ» مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م.

(١٨) كارلايل «الأبطال».

(١٩) د/ مراد هوفمان «الإسلام في الألفية الثالثة ... ديانة في صعود» مكتبة الشروق بمصر ٢٠٠١م.

(٢٠) مايكل هارت «محمد ﷺ أعظم الخالدين» ترجمة أنيس منصور ط. نهضة مصر ط ٩ سبتمبر ٢٠٠٨م.

***

هذا الكتاب

بحث مقدم للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم)

برعاية الجمعية العالمية السعودية للسنة

٢٢ و٢٥ شوال ١٤٣١ هـ - ٢ و٤ أكتوبر ٢٠١٠ م

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار الشباب

رؤية علماء غربيين منصفين للإسلام ونبيه

د. مصطفى حلمي



دار الشباب

011 40 46 70 76

daralshabab@yahoo.com

دار الشباب